• دريافت ۹۸/۰۶/۱۱
• تأييد ۹۸/۱۲/۱۵

قصدية الاغتراب وظواهره في شعر عبدالرزاق الربيعي

صادق البوغبيش*
رسول بلاوي**

الملخص

الحروب والحصار الاقتصادي، والصراعات الطائفية، والمجاعة التي حلَّت بالعراق دفعت فئةً كبيرةً من أبناءِ العراق إلى النزوحِ عن الوطن والاغتراب، وهذا ما دفعَ المغترب إلى الشعور بالقلقِ والخوف جرّاء الضياع في الغربة. أصبحت هذه القضايا الإنسانية مادةً علميّة لعُلماءِ الاجتماعِ، والفلاسفة، والشعراء للبحثِ عنها. قام الشعراء بالتعبير عن الاغتراب وظهر بكثافة في نتاجهم، حيث أنَّ هذا الظهور حصيلة القضايا اللاطبيعيّة في الآونة الأخيرة. فالنزوحُ عن الوطنِ، والشعورُ بالملل من الحياة، يعزل المرءَ عن قِيَم مجتمعه، وهذا كلّه يدخلُ في إطارِ ظاهرة الاغتراب. إنَّ الاغتراب من أهمّ القضايا التي تبحث عن مشاكل المجتمع المعاصر، ويعبّر عمّا تجيش به النفس من مشاعر الحزن والألم، فلم يكن الربيعي بعيداً عن هذه الظاهرة، فكثيراً ما تكلّم عما يعانيه من مشاكل يراها في مجتمعه. الربيعي شاعر من جيلِ الثمانينيات عاش حُقبة حربٍ وحصار، كما أنَّه وجدَ قاطبة الأدباء في المنافي والسجون؛ فهذا الشاعر كان يرى في العراق تراثاً إنسانياً ضخماً؛ ويرى كلّ المعتقدات الثقافية، والاقتصادية، والاجتماعية في انهيارٍ تام ممّا أدّى إلى ظهور ظاهرة الاغتراب في حياته وشعره قبل أن يهاجر ويغترب عن وطنه، تكاثرت لوعات الحنين في حنايا قلب الشاعر. هذا البحث من خلال المنهج الوصفي-التحليلي، يقوم برصد ظاهرة الاغتراب في شعر الربيعي ويعالج قضايا ترتبط بهذه الظاهرة كـالاغتراب الاجتماعي، والنفسي، والإخواني، والزماني، والمكاني، وآثارها السلبية ومن أهمّ ما توصلنا إليه في هذا البحث هو لجوء الربيعي للحنين إلى الطفولة من خلال وصفه للماضي وتذكره لعشرته مع الأهل والجيران، وسعى أن يستعطف أحاسيس القارئ من خلال حواره مع أبيه وأخيه اللذينِ فقدا الحياة، ومع أشلاء شهداء الانفجارات.

الكلمات الرئيسة: الشعر العراقي المعاصر، الاغتراب، الحنين، الوطن، عبدالرزاق الربيعي.

* طالب دكتوراه، فرع اللغة العربية وآدابها في جامعة خليج فارس، بوشهر Sadegh8258a@yahoo.com
** أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة خليج فارس، بوشهر (الكاتب المسؤول) r.ballawy@pgu.ac.ir

١- المقدمة

أوّل مفهوم للاغتراب يتبادر إلى الأذهان هو الهروب من الشرق نحو الغرب، والتقليد في عادات الغربيين وثقافاتهم؛ لاشكَّ بأنَّ هذا المعنى هو جزءٌ من المعاني المتعددة. فمن يعاني الاغتراب باضطراباته النفسيّة يعيش حالة من الضياع والعدم ويرى حياته مليئة بالمشقّات، فيكبت مشاعره ويبتعد عن الحوار؛ ومتى ما أحسّ بفقدان الأمن وضياعه للأملِ، تظهر رغبته في الموت والانتحار. كلّ هذه الأمور المعقّدة سياسياً، واقتصادياً، هي حصيلة العصر المتوتر الذي نعيشه، ومن هذا المنطلق استخدم إريك فروم مصطلح الاغتراب ليشير به بشكل عام إلى «عدد من العلاقات المتنوعة كعلاقة الإنسان بذاته، وعلاقته بالآخرين وبالطبيعة، وبالعمل الإنساني» (حسن، ١٩٩٥م: ٦٧).

شهد العراق في القرن الأخير تغيّرات سياسية حادّة، واقتصاديّة تأسفيّة، حيث بزغت ظواهر عديدة انعكست سلباً على الفرد العراقي وتأثّر الأدب بهذه الظروف الحرجة وواكب هذه الظواهر العديدة منها اللجوء والاغتراب وتكاثرت المفاهيم الحديثة حول تسمية الأدب الخارج عن خارطة العراق والتبس الأمر بين النُقّاد فيقول أبوعون : «ها نحن اليوم وكلّ البشرية معنا لا نعرف للعراقي الذي غادر وطنه توصيفاً أهو مهاجر؟ أم مهجّر؟ أم منفي أم نازح أم شتيت؟» (أبوعون، ٢٠١٣م: ٧٩). وبهذا ندرك أنَّ الاغتراب ظاهرة خطيرة «والأديب حين يجد نفسه في واقعٍ مرٍّ وقاسٍ لا روح فيه بسبب التحولات الحضارية المعقدة والأنظمة المتضاربة يصبح يحيا حياة الضياع والإحباط، والقلق والتوتر، واللاأمن والانكسار وجميعها مظاهر برزت في الأدب» (مشقوق، ٢٠١٤م: ٤٧٨).

في هذه الدراسة ارتأى الباحثان أن نبحث عن مظاهر الاغتراب في شعر الربيعي ورصد ظاهرة الاغتراب ومعاينة ألوانها ودوافعها للكشف عن سمات الشخصية الاغترابية في نصوص الربيعي الذي عاش الاغتراب ودبّ في شعره بشكلٍ ملحوظ؛ وأن يتفحّصا هذه الظاهرة وتجلياتها الجمالية والفنية في شعره. وقد اختارا المجموعة

الكاملة لأشعاره نموذجاً لمأساة الواقع العراقي، والتحولات التي واكبت هذا الوطن الجريح وآلامه التي وفّرت للمتخيل الشعري مادة شعرية ناضجة وناجحة؛ حيث أبرزت للمتلقّي ألواناً عديدة من الاغتراب، كالاغتراب الاجتماعي، والإخواني، والنفسي، والزماني، والمكاني.

١-١- إشكالية البحث

ظاهرة الاغتراب في شعر عبدالرزاق الربيعي جديرة بالدراسة؛ إذ ظهرت بوضوح في شعره، ولا يوجد ديوانٌ له يخلو من ذكر الغربة وألوانها حيث أسهمت بشكلٍ فاعل في تكوين أساس مهمٍ في تجربته الشعرية؛ إذ أنَّ الظروف التي كانت تمرّ بها المنطقة والأمّة الإسلامية قد خلقت في نفس الشاعر مبررات عديدة حتى نظر إلى ما يحيط به من الأوضاع نظرة مرهفة تصطبغ برؤى سياسية، وأيديولوجية، ونفسية، في أشعاره.

النزوح في السنوات الأخيرة من تاريخ العراق الحديث هو جزء من الواقع الكئيب الذي عاشه الفرد العراقي وسار مذعوراً في ظروف حرجة، وبمأساة لا تُطاق نحو النزوح؛ ولكنَّه مرّ بهذه المأساة بكلّ قوة باحثاً عن أمل وقد عاش هذه التجربة المفجعة لهدفٍ واحد: هو أن يبقى على قيد الحياة. كل هذه الظروف أدّت إلى ولادة نوع حديث في النقد الأدبي سُمّي بالاغتراب الأدبي. استطاع الربيعي أن يعبّر عن شاكلة الحنين في الغربة، واليأس، والحرمان؛ فقد أدرك أنَّهُ هو الشخص الغريب ويجب أن يعيش الاغتراب مكبوتاً بأحزانه وآلامه، وشعره نموذج حيّ لتاريخ العراق في الحقبة الأخيرة؛ لهذا ارتأينا أن ندرس شعر الربيعي مترصدين الاغتراب وأهمّ مظاهره في شعره.

١-٢- أسئلة البحث

هذا البحث يسعى أن يجيب عن السؤالين التاليين:

- كيف تجلّت ظاهرة الاغتراب في شعر عبدالرزاق الربيعي؟
- ما هي أنواع الاغتراب وظواهره في شعر الربيعي؟

١-٣- خلفيّة البحث

عبدالرزاق الربيعي شاعر من جيل الثمانينيات ويُعَدُّ من أعلام الشعر العراقي الحديث، فكانت هناك دراسات قليلة عالجت قضايا شعره بصورة عامّة منها: كتبت رشا فاضل كتاباً بعنوان «مزامير السومري: قراءات في المنجز الشعري والمسرحي للشاعر عبدالرزاق الربيعي» ونُشِرَ من دار شمس عام ٢٠١٠م. عالجت الكاتبة نتاجات الربيعي الشعرية، ثمّ أتت بالدراسات والمقالات التي درست نصوص الشاعر، وتحدّثت عن شخصيته وملامحه الإنسانية من خلال انعكاس صورته في مرايا الآخرين. كتب ناصر أبو عون كتاباً بعنوان «عشبة جلجامش: جماليات الإيقاع في شعر عبدالرزاق الربيعي» ونُشِرَ من دار كنوز المعرفة، في أردن عام ٢٠١٣م. قُسّم الكتاب على ثلاثة فصول. الأوّل: المرئي والمكتوب في شعر الربيعي ودراما الصورة الشعرية في نصوص الشاعر. الفصل الثاني: البنية الإيقاعية والأبعاد الجمالية والتكوينية في شعر الربيعي. الفصل الثالث: دراسة في ديوان «خذ الحكمة من سيدوري»، وإنتاجه للأسطورة وهناك مقال للباحثين رسول بلاوي وصادق البوغبيش بعنوان «دلالات اللغة البصرية في شعر عبدالرزاق الربيعي» نُشِرَ في مجلة الممارسات اللغوية في المجلد١١، العدد١، مارس٢٠٢٠. عالجا الباحثان مسألة التنقيط، وعلامات الترقيم، والصمت، والسواد والبياض، والشكل المتموج، وتفتيت الكلمات التي تظهر اضطرابات الشاعر وتوتّره واغترابه وكانت ظاهرة الاغتراب من القضايا المهمة التي لفتت انتباه الكثير من الباحثين وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر: عبدالرزاق الخشروم، نشر كتابه عام ١٩٨٢م، المسمّى بـ«الغربة في الشعر الجاهلي»، من منشورات اتحاد الكتاب العربي، وقد استهلّ الكاتب عوامل الغربة وأسبابها في المجتمع الجاهلي، ثمّ درس شعر الملتمس الضبّعي وعنترة، والشنفرى، وعدي بن زيد، وختاماً تطرّق إلى النوستالوجي العربي والحنين القديم؛ ويُعتَبَر هذا الكتاب من أهمّ المصادر التي تناولت قضية الغربة والاغتراب في المجتمع الجاهلي. كما كتب محمد راضي جعفر كتاباً بعنوان «الاغتراب

في الشعر العراقي»، ونُشِرَ من دار اتحاد الكتاب العرب عام ١٩٩٩م ، وقد استهلّ بلمحة تاريخية عن مفهوم الاغتراب مع عرضٍ لوجهات نظر فلسفية، ودينية، واجتماعية، ومن ثمّ تناول الكاتب شواهد من روّاد الشعر العراقي في المهجر والحنين الذي عاش الشاعر بأمل الرجوع إليه، والعودة إلى الماضي، واستعادة المجد، ونيل الأحلام، والمدينة الفاضلة، ثمّ في الفصل الثاني يبحث الكاتب البنية اللغوية والتصويرية في شعر أولئك المغتربين وكيفية التعبير عن الاغتراب مع موازنة بين الغربة والاغتراب. كتب أمير فرهنگ‌نيا وآخرون مقالاً بعنوان «ظاهرة الاغتراب في شعر عز الدين المناصرة» ونُشِرَ في مجلة اللغة العربية وآدابها، السنة ١١، العدد ٣، خريف ١٤٣٦هـ. وقد درس الباحثون الاغتراب لغة واصطلاحاً، والاغتراب في الشعر، وأقسام الاغتراب منها الاجتماعي، والذاتي، والمكاني والروحي وهناك بحث للباحث رسول بلاوي وآخرين تحت عنوان «موتيف الاغتراب في شعر يحيى السماوي» في مجلة العلوم الإنسانية الدوليّة عام ٢٠١٢، وقد عرّف الباحثون معنى الموتيف واعتبروا الاغتراب من أهمّ الموتيفات في شعر السماوي حيث ينطوي على محاور تعود إلى إحساسه بالغربة، وأهمّها الحزن، والموت والحنين وبعض الرموز التي تدل على الغربة كالطيور المهاجرة والحمامة والبحر والريح.

كتبت فاطمة جمشيدي وآخرون مقالاً بعنوان «ملامح الاغتراب في شعر علي فودة وردود فعله عليها» وقد نُشِرَ في مجلة إضاءات نقدية، السنة السابعة، العدد ٢٧ أيلول ٢٠١٧م، وقد درس الباحثون الاغتراب لغة واصطلاحاً، وأنماط الاغتراب في شعر علي فودة كالاغتراب السياسي، والنفسي، والإخواني ومن خلال اطلاعنا على منجز الشاعر تبيّن لنا عدم دراسة ظاهرة الاغتراب في شعره بالرغم من مكانتها المهمّة في تجربته الشعريّة، فهذا البحث الذي بصدد إنجازه يُعتبر الأوّل من نوعه في الشعر الربيعي.

۱-۴- سيرة حياة عبدالرزاق الربيعي

عبدالرزاق الربيعي شاعر عراقي «وُلِد في عام ١٩٦١م في بغداد ليحمل لواء الشعر والمسرح العراقي في الغربة بعد هذا. غادر الربيعي العراق في عام ١٩٩٤م هارباً من مأساة الحصار الأمريكي على العراق والدمار الحاصل من حزب البعث وطغيانه حيث عانى منه العراق بشتّى أطيافه في تلك الآونة». (البوغبيش، وبلاوي، ٢٠٢٠: ١٧١). وبحث في الغربة عن هويته في الكتابة «فعمل في الصحافة الثقافية في جريدة الرصيف» (أبوعون، ٢٠١٣م: ٥٧). وكان شعره «مندمج بالحياة اليومية بكلِّ طبقاتها وظلالها ومستوياتها، ويكاد يكون شعره سيرة شعرية مكتنزة بالتفاصيل الحياتية العراقية، فالمكان العراقي بتنوعاته المعروفة عنصر أصيل من عناصر شعريته». (المرسومي، ٢٠١٥م: ٤). وأهمّ أعماله المنشورة: «الحاقاً بالموت السابق عام ١٩٨٧م، وحداداً على ما تبقّى عام ١٩٩٢م، وخذ الحكمة من سيدوري ٢٠٠٦م». (فاضل، ٢٠١٠م : ٤-٥).

۲- الاغتراب[1]

الغربة والغُرب «النزوح عن الوطن والاغتراب، والتغرب كذلك تقول منه: تغرب واغترب، وقد غرّبه الدهر، ورجل غُرُب بضم الغين والراء، وغريب، بعيد عن وطنه، الجمع غرباء والأنثى غريبة» (ابن منظور، ١٩٩٨م: ج١، ٦٣٨). فالاغتراب ظاهرة عاشها البشر منذ بدايات خلقه، وتعدّدت معاني هذه الظاهرة في الدراسات للعلوم الإنسانية فـ«الاغتراب لغةً تعني النزوح عن الوطن، ولهذه الكلمة معانٍ أخرى منها: النفسي، والدينيّ، والاجتماعيّ» (الحلايقة، ٢٠١٤م: ١).

الاغتراب في اعتبار الفلاسفة هو الاغتراب الذاتي الذي يرى الإنسان نفسه منفطم عن ذاته الحقيقية؛ ويرى فرويد[2]: «الاغتراب هو شعورُ الانفصام والصراع بين قوى اللاوعي الدفينة في الذات وبين الذات الواعية» (نفس المصدر: ٢). وكان

هيجل[٣] هو أوّل من استعمل مصطلح الاغتراب في العصر الحديث وبصورة منهجية ويرى الاغتراب هو «أن يضيع الإنسان شخصيته الأولى، ويصير إنساناً آخر أغنى من الأول» (صليبا، ٢٠٠٦م: ١/ ٧٦٥). ويرى للفلسفة غاية «هو العالم الموضوعي الذي يمثّل الروح المغتربة، وغاية الفلسفة أن تقهر هذا الاغتراب عن طريق المعرفة وتقدّم الوعي ونخلص في أن يفقد الإنسان ذاته، ويصبح غريباً أمام نفسه، تحت تأثير قوى معادية، وإن كانت من صنعه كالأزمات والحروب» (الطويل وزايد، ١٩٨٣: ١٦). والاغتراب لا يختصّ بالبيئة والاجتماع الذي يقطنه الفرد لأنَّ الاغتراب عبارةٌ «عن حالةٍ نفسيّة من حالات الفرد السويّ، حيث إنّ الإنسان الاغترابيّ هو الذي يشعر بأنَّه غريبٌ في مجتمعه» (الحلايقة، ٢٠١٤م: ٢).

الوطن والابتعاد عنه يأخذ الحصّة الكبرى في مفهوم الاغتراب فـ«الغربة عن الأرض هي ابتعاد الإنسان قسراً عن وطنه الأم، فيضطره القهر أن يعيش بعيداً عنه، ويشعر بمرارة الغربة عن الأرض لأنَّ طموحه يتعارض مع ما هو حاصل فوقها من قمع للحرية، واغترابه عن الأرض يستمر طويلاً، ويعتبر عودته إليها للموت فقط» (مغنية، ٢٠٠٤م: ١٩).

تكاثرت أنماط الاغتراب عند العلماء والفلاسفة وجميعهم اتفقوا على هذه الأنماط المذكورة عند لويس فيور كما يلي: «١- **العجز:** أي الشعور الذي يولد في أعماق الإنسان بأنّ مصيره ليس في يده. ٢- **اللامعنى:** شعور الإنسان بأنّه ليس للحياة أيّ معنى أو هدف. ٣-**العزلة الثقافيّة:** انفصال الفرد عن قيم مجتمعه. ٤- **اللامعيار:** عدم التزام الفرد بالمعايير السائدة في مجتمعه.٥ - **الغربة الذاتيّة:** وتعني انفصال الذات عن عمق الذات وطموحاتها» (الحلاقية، ٢٠١٤م: ٢).

أصبحت ظاهرة الاغتراب أهمّ ظاهرة في عصرنا جرّاء الحروب والاغتيالات، والإعدامات، وقد اغترب الكثير من أبناء الشعب العراقي تحت عناوين اللجوء السياسي واللجوء الاجتماعي، واللجوء السياسي إلى أوطانٍ كثيرة فـ«هناك اغتراب سياسي

يعود إلى تسيّد إيديولوجيا ثابتة وتقديسها أو الإذعان لكاريزما زعيم بعينه، إذ تتمحور القيم حول عبادة الشخص وتقديسه السلطة واعتبار الحياة الفردية وهماً... فيفقد الإنسان حريته ويصير مغترباً عن ذاته، بذا تنتفي الحرية ويزداد الاغتراب» (الحيدري، ۲۰۱۹م: ۲). وتعدّدت وجوه الاغتراب في العصر الحديث «منها الاغتراب عن الوطن إلى جهات بعيدة ونائية ومنها الاغتراب النفسي وذلك حين يشعر المرء بأنّه يعيش غريباً بين أبناء مجتمعه ومنها أيضاً اغتراب المرء عن نفسه، وذلك حينما تنفصل عرى الوثائق بين الإنسان ونفسه، وكذلك الاغتراب الذي يفارق فيه الإنسان أهله وأصدقاءه ويرحل إلى مجتمعات أخرى تنعدم فيها صلات القربى ويتوجّه إلى مجتمع آخر ويكوّن فيه أصدقاء جُدد ليعوّضوه عن أهله» (جمشيدي وآخرون، ۲۰۱۷: ۷۱). ومن هذا المنطلق سنبحث الاغتراب الاجتماعي، والسياسي، والنفسي، والمكاني، والزماني؛ ثم الاغتراب وآثاره السلبية على الهوية في مجموعة الربيعي الشعرية.

۳- تجلّيات الاغتراب في شعر الربيعي

كان خروج الربيعي من العراق بمثابة خروجه من رحم الوطن، وانهيار معتقداته، والضياع من مستقبله؛ ولكنَّهُ كشاعرٍ ملتزم بقي على قيد الوفاء؛ كانت تلك الحُقبة تحولاً مبدئياً بالنسبة إليه ليتواصل مع كوكبة من الشعراء والنُقّاد «خرج عبدالرزاق الربيعي من العراق عام ۱۹۹٤م متوجهاً نحو الأردن وكانت هذه المرحلة بمثابة الخروج من رحم بغداد الذي أطلقه لمدى أكثر اتساعاً لصوته وحروفه، فقد فتحت أمامه آفاقاً أوسع في التواصل الثقافي والحضاري نظراً لظروف الحصار التي شهدها العراق في تلك الفترة» (أبوعون، ۲۰۱۳م: ۵۷). وهذه السنوات كانت بالنسبة للمفكرين والأدباء سنوات حرجة كما يقول حول هذه السنوات يحيى السماوي: «عشتُ الغربة في الوطن، حين أصبح العراق في ظلّ نظام صدام حسين غابة مشانق، بعدما كان بستان شعرٍ وخيمة محبةٍ، الأمر الذي جعل الهروب من الوطن أُمنيةً ومطمحاً جماهيرياً»

(بدوي، ٢٠١٠م: ٦٧و٦٨). وقد اضطرّ الربيعي إلى جلاء الوطن بسبب المضايقات السياسية، والمجاعة التي حلّت بالبلاد جراء الحصار وتزايدت مخاوف الشعب من استخبارات البعث؛ فيشير الربيعي قائلاً:

«أغلقَ بإحكامٍ/ على نفسه بابَ الحمّام/ أخرج أسراره/ حدّقَ في الجهة المقابلة/ قرأ: هكذا أنتم دائماً/ تأكلون/ تتبرّزون/ ولاتطالبون/ انتفض واقفاً مثل صليب/ جرى ثائراً/ طالبَ/ بمسحِ الكتابة» (الربيعي، ٢٠١٩م: ٢/ ١٨٦).

يظهر من خلال هذا النصّ القصير أنّ الشعب عاش لحظة رعب واضطراب من مضايقات الاستخبارات البعثية واستجوابهم للثوّار تحت التعذيب بشتّى أساليبه. في عام ١٩٩٨م خرج الربيعي من صنعاء متجهاً نحو مسقط. كلّ هذه الأمور جعلت الربيعي يعيش خارج ذاته، وقد عاش داخل الوطن تحت تأثير عدّة عوامل حيث أعاقت انتاجية إبداعه، ودمّرت إمكانيته في التعبير الحُر عن وجوده الثوري، فكان خروجه كسر القيود المانعه من تفتّح إنتاجه الأدبي، ولكن هذا الاغتراب أثّر في نفسه، ونصوصه، وإنتاجه الشعري.

٣-١- الاغتراب الاجتماعي

فقدُ المودّة والإخاء والتشاؤم بين الذات وذوات الآخرين وتجاهل الأفراد، هي النماذج الأساسية للاغتراب الاجتماعي فـيُعتبَر «هذا الاغتراب هو الشعور بعدم التفاؤل بين الذات وذوات الآخرين ونقص المودّة والألفة معهم وندرة التعاطف والمشاركة وضعف أواصر المحبّة الإجتماعية مع الآخرين» (عبّاس، ٢٠١٦م: ٣٦). كانت إحدى لوعاة الشاعر هي أن لايفهمه الشارع العراقي، فالربيعي هو الذي يحلمُ بوطنٍ آمنٍ كباقي الأوطان:

«فجأةً... / في الشارعِ العامِ التقينا ومشينا/ حدّثتني عن عطورٍ/ عُرِضَت في (شارع النهر) أخيراً/ وبإسهابٍ... عن الأزياء/ عن صبغِ الأظافر/ (تذكرُ الأنباءُ/ مليونَ فقيرٍ/ لفظوا أنفاسَهم... والجوعُ كافر)» (الربيعي، ٢٠١٩: ٢/ ٤٦٨).

يرى الشاعر نفسهُ بين أولئك الذين يهتمّون بالعطور التي تُعرض في الشوارع ويتحدّثون عن الأزياء وصبغ الأضافر بإسهابٍ فكأنّ همّ الشاعر الوحيد هو هذه الأمور التافه، في وقت أنّ الأخبار تذكر مليون فقير يعانون أوشكوا على الموت من شدّة الجوع، فهنا الشاعر يجد نفسه بين من يتحدّث عن أمور تافهة لا تعني له شيئاً وبين نشرة الأخبار اليومية التي تنقل أخباراً مؤسفة من داخل الوطن، فهذه القضايا تجعل الشاعر يعيش في غربة اجتماعية وهو جوف وطنه؛ وأكمل قائلاً:

«رشقتني بخطابٍ/ عن كمالِ السيّدات/ عن طباعِ السيّدات/ عن حفلةِ رقصٍ أبدعت فيها/ وعن تصفيفةِ الشعرِ الحديثة/ ركض الجنديُّ/ أمتاراً/ بلا رأسٍ/ وماتْ/ سقط الجندي وبين الرأسُ والجثّةِ/ كانت خطوات» (المصدر نفسه: ٤٦٨- ٤٦٩).

وأثناء هذه التراجيدية التي يجسّدها الشاعر والتي جاء فيها داخل القوسين ليدلّ على مشهد حدث قريباً منهم، يجد البعض يتحدّث عن كمال السيدات وطباعها وعن حفلات الرقص وتصفيفة الشعر الحديثة غير مكترث بالمشهد الذي حدث بالقرب منهم، فهذه الأمور تجعل الشاعر يعيش حالة اجتماعية مؤلمة يشعر من خلالها بالغربة. نقصان المودّة والألفة بين أبناء العراق وعدم التعاطف والتفاعل وضعف أواصر المحبة الإجتماعية بين الربيعي والآخرين تتجسّد من خلال هذا النصّ، فنرى الشاعر يستكره أمر أبناء شعبه ويراه بعضهم منشغلين بالأفلام الهوليوودية وحفلات رقصٍ بدل أن يهتمّوا بما هو واجب وطني وأخلاقي؛ ومن هذا المنطلق بقي الوطن بيد الاحتلال الداخلي والخارجي محترقاً، وبقي أبناء الوطن بين الموت والمنافي يتجوّلون، فالاغتراب يزداد عليه اجتماعياً ونفسياً ومكانياً:

«حدّثتني عن ألن ديلون/ والفلمِ الأخير/ وروت قصّتهُ حتّى الختامِ/ حجزوا للموتِ/ في مسرح بيروت المخرّب/ مقعداً يربضُ بالصفِّ الأمامي/ ثم ماذا؟ حرقوا المسرحَ واغتالوا/ عصافيرَ الكلام» (المصدر نفسه: ٤٦٩).

يرى الربيعي أنّ البعض من أبناء الشعب لا يريد أن يفهم حقيقة الأمر ولا يتعب

نفسه كي يفهم الأحداث التي جرت، من مجازر، واغتيالات، ونهب الثروات، فجيل الشباب مهتمّ بثقافة الغير ولا يعرف تاريخ حضارته وأحداثها، ويملّ الشاعر ويتعب من هذا التحامُق. فهذه الأمور التي يرويها الشاعر تدلُّ على اغترابه في المجتمع، لأنَّ المجتمع لا يفهمه وحتّى من يفهمهُ يريد منهُ أيضاً أن يلزم السكوت. ثمّ يرى المجتمع وأهلهُ يبتعدون عنه، وعن أفكاره، فيسأل منهم في قصيدة "البيت الأخير" والتي تُعتَبَر نموذجاً بارزاً لاغترابه الاجتماعي:

«باردٌ كأسُك... / أينَ الحانُ؟/ والندمانُ؟/ هل غابوا/ عن العيونِ/ خلفَ الغيم/ والخلانُ أينَ؟ هل أداروا الظهرَ للشتاء؟ أم أنتَ للغيبِ/ مضيت» (المصدر نفسه: ١/ ١٨).

في هذا النصّ يأتي الغياب القسري لكلِّ شيءٍ أحبّهُ الشاعر، ويرى أنّ حرارة المودّة والإخاء قد تغيّرت وأصبحت نيران المحبّة كالثلج، وقد غاب الأهل فبقي وحيداً يسأل نفسه أين الأهل وماذا حلّ بتلك المحبّة والمودّة والإخاء؟ ثمّ وجد نفسه وحيداً مُستكرهاً بين الأصدقاء، والمجتمعُ لا يقبل آراءه، ولا يساندهُ أحد في أفكاره. بقي الربيعي وحيداً مُستغرباً عن الناس وكان يحتاج حضورهم لتحقيق هويته، فالإنسان «لايستطيع تحقيق هويّته إلّا في وسط اجتماعي يتحقّق فيه التفاؤل بين الذات وغيرها من الذوات، وأنّه لا يدرك هويّته إلّا من خلال المسؤولية التي يستشعرها تجاه الآخرين» (خليفة، ٢٠٠٣م: ٦٦). وخلال هذه الغربة والوحدة والانزواء كتب قصيدة "عزلة":

«حينما ينزوي/ يلبس الأفقُ جلبابه المطريّ/ البيوت تضيقُ/ تشيقُ الأضالعُ أيضاً/ وبالكاد تطلعُ منها الأفاعي/ يغوصُ... / يغوصُ... / إلى آخر القول» (الربيعي، ٢٠١٩م: ٢/ ٣٩٠).

عادةً ينزوي الفرد عند حصول الفواصل بينه وبين أحبته، ويروي لنا الربيعي انزواءً لنفسه في هذا النصّ ويصف للقارئ حالات الشخص المنزوي وكيف يضيقُ به الفضاء! ثمّ يصوّر التنهدات كالأفاعي تخرج من صدر الشخص المنزوي. اهتمّ الربيعي بالقضاياء التي تختصّ بأبناء العراق في المهجر وأولئك الذين ضاعت حقوقهم

بأوطانهم تحت عنوان "المنفيين"، حيث عاشوا حياةً مليئةً بالإحباطِ واليأس في أوطانٍ غريبة؛ وقام الربيعي من خلال شعره بتعريف أوضاع تلك الفئة من أبناء العراق وروي الكثير عن أوضاعهم في نصوصه؛ وفي هذا النصّ امتزجَ الاغتراب الإجتماعي والنفسي ليخلقَ فضاءً خاصاً بالمنفيين. ثمّ ينقطع الربيعي عن الآخرين في غربته ويحسّ بالألم الشديد بسبب ما يحيطه النسيان، فيشعر باليأس؛ ويرى المشاكل والضغوطات السياسية والاجتماعية كالطوفان داهمتهُ، وخاب ظنّه بأصدقائه:

«أصدقائي/ حينما داهمني الطوفانُ/ صاحُوا اليوم لاعاصمَ إلا..../ وبإغماضه روح هربوا/ أصدقائي/ من دَمي المُلقى على الأيامِ/ ماذا كسبوا؟ بعضهم ظلّ على العهدِ/ ومن لابدَ.../ ومنهم عادَ من غيبته الصغرى/ ومن خيبتي الكبرى» (الربيعي، ۲۰۱۹م: ۱/ ۲۲).

يستشهد الشاعر بآية من سورة هود وهي ﴿ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ (هود/ ۴۳)؛ فيشبّه الأصدقاء بابن نوح (ع) ويرى نجاتهم في صلة الرحم والإخاء والمودّة. يرى الشاعر خيباته من الغُربة وضياع الأصدقاء حيث ضاعت أصدقائه في الشدائد وبقي هو وأوجاعه بعيداً عن أهله وأصدقائه وحتى عن ذاته، والاغتراب عن الأهل والذات على امتدادٍ واحدٍ يسيران ولـ«أنّ مفهومي الاغتراب عن الذات والاغتراب عن المجتمع المعاصر يتشابكان وإنَّ الإنسان المغترب عن الآخرين هو المغترب عن ذاته» (حماد، ۲۰۰۵م: ۲۱۱). ثمّ يرى الشاعر أنَّ الأصدقاء الذين تركوه في الشدائد هم سبب دماره وخراب كلّ شيء:

«بيتٌ خربُ/ بحرُ أوجاعٍ/ وسرٌّ ذائعٌ/ في الريحِ/ غيظٌ/ ودمٌ من قاع قلبي يثغبُ» (الربيعي، ۲۰۱۹م: ۱/۲۲).

كان يُعاني الربيعي من انقطاع صلة الرحم بينه وبين أهله وجيرانه وأصدقائه، ويرى عدّة أسباب لهذا الأمر وأهمّ هذه الأسباب هي أنّ هؤلاء الأصدقاء لا يكتمون له سراً، فهؤلاء الذين كان يظنّهم أصدقاء كانوا سبباً لدماره، ولم يحافظوا على أسراره فأذاعوها في المجتمعِ الذي شبههُ بالريح.

٣- ٢- الاغتراب الإخواني

لاشكَّ بأنَّ الحنين إلى الديار هو الحنين إلى الأهل وتربطهما صلة تامّة، والاغتراب عن الوطن هو المسبّب الحقيقي للحنين إلى الأهل والإخوان «الاغتراب عن الوطن يسبّب الحنين إلى ما فيه من الأهل والأصحاب» (الربيعي، ٢٠١٣م: ٢٥٥). عاش الربيعي تجربة مُرّة في الغربة، لأنّ معظم أهله في العراق، ويسمع الأنباء السيئة من داخل الوطن، والاغتيالات لا تُعدُّ ولا تحصى؛ وقد فقد الأصدقاء في وقتِ الشدّة؛ هذا ما جعل الشاعر يعيشُ حالة ضعفٍ في الغُربة لأنَّهُ لم يحصل على صديقٍ وفيّ. و«المراد من الاغتراب الإخواني هو أنّ الإنسان قد عاشرَ أناساً كثيرين، وانعقدت بينه وبينهم صداقات وسيعة، إلّا أنّه سرعان ما يفقد هذه الصداقات؛ لأنّها ليست قائمة على الوفاء والمؤازرة في وقت الشدّة، ولهذا فإنّه يندب حظّه العاثر» (اشكوري، ٢٠١٥م: ٥٥٢). يصف الربيعي معاملة الجيران في الغُربة:

«قلوبنا التي وصلت/ وصلت تالفه/ أُغادر (عمّان) مثلما ولدتني مدينتي/ عارياً إلّا من الأورام/ أورام بسبب البطالة السميكة/ أورام بسبب احتراق الإقامه/ بسبب جاري الذي لم يقل لي/ صباح الخير/ أغادر عمان/ حاملاً قبضة مطر» (الربيعي، ٢٠١٩: ٢/ ١٧٩).

كان الشاعر يتأمّل حياةً كريمة في الأردن ولكن سرعان ما تلفت الأفئدة وتزايدت الأورام من عمان العاصمة؛ بالرغم من عروبتها ولكن أهلها مختلفين عنه فقرّر الشاعر تركها لأسبابٍ مثل البطالة، وعدم تواصل أهلها مع المنفيين. فقد تضايق الربيعي بسبب المتاعب التي التفت به في هذه العاصمة ومعاملة سوء من قِبَل أهلها مع المهاجربن. ويروي لنا زيارة أخيه في عالم الرؤيا وكأنّهُ لم يبق غيره:

«حين زارني أخي/ في المنام/ كان التعبُ/ محفوراً على حذائهِ/ لم أسأله عن ذبول صبغته بالطبع/ فالطريقُ من العالمِ الآخرِ/ طويلٌ/ والمطبّاتُ كثيرة/ لكنّهُ رغم كل ذلك زارني/ أنا المضطجعُ على ظهر انتظاره في الظلامِ المكيّف» (المصدر نفسه: ١/ ٤٠٦).

عدم زيارة أحدهم للربيعي يسبّب له غُربة نفسيّة حيث يحنّ إلى عبد الستار أخيه ويراهُ في عالم الرؤيا يأتي لزيارته. فمن خلالِ توظيف هذه المفردات «في المنام»، و«العالم الآخر»، و«الظلام» نعرف بأنّ "عبد الستار" متوفي. الاغتراب الإخواني في شعر الربيعي يأتي بصورة عتاب وحنين. فانفصال الربيعي عن الوطن والأحبة سبَّبَ مشاعر نفسية كالحنين لأنّ الاغتراب كما تقول معاجم اللغة العربية على اختلافها النزوح عن الوطن، «أو البعد والنوى، أو الانفصال عن الآخرين، وهو معنى اجتماعي، بلا جدال فيه كذلك هو أنَّ مثل هذا الانفصال لا يمكن أن يتمّ دون مشاعر نفسية، كالخوف أو القلق والحنين» (فرهنگ نيا وآخرون، ١٤٣٦هـ: ٣٩١). واغترابه الإخواني يجعل نفسيّتهُ تهيم بين الماضي والحاضر، الماضي عندما كان "عبد الستّار" حيّاً يُرزَق، والحاضر اغترابه ولوعاته واستعادة الذكريات والتحسّر على الواقع، ويكشف عن معاناة الغُربة وعن معاناة الذات في حال اغترابها وتوحّدها في بلادٍ نائية، فيشعر الربيعي بغربة مريرة بعد كلّ هذا النفي والتشرّد ويحسُّ بشوق لماضيه الذي يعيش الآن في ذاكرته.

٣ - ٣ - الاغتراب السياسي

الاغتراب السياسي في العراق الحديث هو النوع الأكثر شيوعاً بين أنواع الاغتراب وهذا الأمر حصيلة خيبة الأمل عند الشعب العراقي وانفصاله عن حزب البعث، فالاغتراب السياسي «حالة من الشعور بعدم الرضا وخيبة الأمل والانفصال عن القادة السياسيين والسياسات الحكومية والنظام السياسي ويرى أنّ مشاعر الاغتراب تضمّ على الأقل خمسة مكوّنات وهي الشعور بالعجز، الاستياء، عدم الثقة، الغربة واليأس» (عبدالوهاب، ٢٠٠٠م: ١١٤). يرى الربيعي أنّ حزب البعث كغراب الشؤم أخذ الشعب العراقي إلى الهلاك وجرهم إلى حروب كثيرة لا تُطاق:

«ماذا ستأخذُ يا غراب؟ وكلّ أشرعتي هوت/ واستسلمت لجيوشِ طاعونِ الخراب؟/ ماذا ستأخذ يا غراب؟ وقد أخذت مني ما أخذت/ فرشتَ لؤمك/ وانسللت

بها/ إلى الأفق البعيد/ وطرت/ سرّاً تاركاً قلبي وحيداً في زوايا الليل» (الربيعي، ۲۰۱۹م: ۱/ ۵۵).

الغراب من أكثر الطيور توظيفاً في القصائد حيث حمّله الشعراء دلالات مختلفة كرمز للشؤم أو الموت أو الفراق، وفي هذا النصّ يرمز إلى الذكرى الحزينة التي لا تنتهي أبداً، سنوات الضياع التي مرّت على الشاعر، سنوات استيلاء الحزب البعثي على العراق. شبّه الربيعي ساسة الحزب بالغراب، لأنّهم أتلفوا وأتعبوا الشعب العراقي؛ وقد حلّ الخراب والطاعون في البلاد. العراق بلد الحضارة، وبلد الثروات وقد ضاعت كلّ هذه الثروات في الحروب ودعم الطاغية الصداميّة، وكلّ ما جلب للوطن هو الطاعون والخراب بأفكارٍ لا تغني ولا تسمن من جوع؛ هذا هو إحساس الشاعر الملتزم الذي عاش في الغربة وهو «إحساس بالغربة عن حكومته وعن النظام السياسي، واعتقاده بأنَّ السياسة والحكومة يسيّرها آخرون لحساب آخرين، وهو يشعر في هذه الحالة بأنَّ المجتمع والسلطة لا يعنيهما أمره وبأنَّه لا قيمة له في ذلك المجتمع» (عبدالوهاب، ۲۰۰۲م: ۱۳). قصيدة "السلحفاة" تظهر رغبة الربيعي في القصاص من البعث بسبب الجرائم، والمجازر التي فعلها بحق الشعب العراقي فنقرأ:

«لا ماء/ لاحجر/ ...لا جسد بهيئة صخرة/ لا شيء.../ غير نجوم أفق عاطل/ سنصوغ من دمعاتها عطراً.../ نرش به النساء/ لا شيء.../ في الدنيا سوى قمر يدب كسلحافة/ سندوس جبهته/ لنغبر شاهد الزمن الوحيد/ ونعتلي قاماتنا» (الربيعي، ۲۰۱۹م: ۲/ ۵۰۵- ۵۰۶).

بقي الربيعي يخطو خطواته بهدوء من دون أن يسبّب لنفسه أو لعائلته أذى من الحزب البعثي لهذا التجأ إلى الرمز واختيار اللغة الرمزية فهذه هي التقنيّة في نصّ الشاعر؛ لهذا يرى الناقد "ناصر أبوعون" يجب أن نقرأ شعر جيل الثمانينيات قراءة متأنية، لأنَّ بسبب المضايقات السياسية كتبوا الشعر برمزية خاصة؛ «اهتمَّ جُل أعضاء هذا الجيل [الثمانينيات] بغروب الوعي السياسي والانزواء والانغلاق على الذات

وعدم مجابهة السلطة وقراءة متأنية لشعرية هذا الجيل وبخاصة شعرية عبدالرزاق الربيعي تدحض هذه الرؤى الذاتية حيث كان له طقس خاص وتحرشات فكرية ومناوشات شعرية ورغبة دفينة في القصاص من النظام البعثي الذي اجتث أخاه السياسي والمعارض فقضى شهيداً للحرية» (أبوعون، ٢٠١٣م: ٣٥). وفي نصّ "وصيّة" يتأمّل حياةً سعيدة لابنه بعد ما أتلف الحزب أزهى أيام الشاعر وأبناء جيله:

«لملمتُ بقايا بحرٍ لجّيّ/ يترسّبُ/ في ذاكرةِ السفنِ الغرقى/ في أعماقي/ وحملتُ عصا زهرة أشواقي/ لوّحتُ لطفلي النائمِ/ في الغيبةِ/ أجّل صرختك الأولى/ سنوات أخرى/ واطلقها/ خارجَ الأزمنة البلوى/ فلعلَ يكون/ يكون لها -حينئذٍ- جدوى» (الربيعي، ٢٠١٩: ٤٦٦/١).

رمز الشاعر بطفله إلى الشعب العراقي في المستقبل وإلى الجيل الذي سوف يعيش خارج حكم الطاغية، فيطلبُ منهم أن يجهّزوا صرخاتهم ربّما ستفي بغرضٍ. ويتلبّس بلباس النبي إبراهيم عليه السلام راجياً من الله أن تعود الروح في طيوره:

«ألقِ بريشاتك من فتحات الشُبّاك/ وصلِّ على روحهِ/ يأتك سعياً/ قال الشيخُ/ فخبّأ إبراهيمُ الدعوات الورقيّة/ بين جناحي جثّة طائرهِ/ وتداعي في صحنِ الظُلمةِ/ بين رفوفِ الزوّارِ/ اخلع نعليك/ خلعتُ فؤادي/ وسماءً كاسدةً/ إنّك في الحضرةِ/ حيث طوافُ الناسِ الذهبيّ/ حماماتٌ تمشي كالأطفالِ/ على حرفينِ نديينِ/ افتح شمعةَ نذرٍ/ وانظر بعثرة الموتى» (المصدر نفسه: ١/ ٤٨٨).

يروي الشاعر رواية عن إبراهيم الطفل الذي يحلم بأنَّ الروح ستعود لطائره حين يضعه في مقام ولي من الأولياء مشفوعاً بالدعوات ويستلهم من هذه الآية: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (بقره/٢٦٠)؛ فيرى الشاعر أنّ البلد الطيّب تنبت به أزهارٌ والبلد اللاطيّب تنبتُ به أشرارٌ، لذا يركب سفينة نوح لينجو من الغرق

وهذا ما فعله الشاعر حينما غادر العراق؛ فكتب هذه القصيدة قبل أن يغادر العراق ولكنَّه نشرها بعد خروجه من الوطن. ويرى على الإنسان أن يموت خير من أن يكون ذليلاً بيد الطغاة ويدعو الشعوب إلى الثورة ضدّ الطغاة والجبابرة:

«أحياناً يكون الموتُ جيّداً وضرورياً/ خصوصاً عندما يبتلعُ روحَ ليلةٍ ماكرةٍ/ أو يضغط على رقبةِ/ كلمةِ سوءٍ/ أو يدقُّ عنقَ حشرةٍ ضارّةٍ/ أحياناً يكون الموتُ جيّداً ومناسباً/ خصوصاً عندما يعطي/ حلولاً نهائيّة/ لكل الأسئلة العاطلة/ لكل الأزمنة المعجونة بالالتباسات/ أحياناً يكونُ حلاً لي/ ولك/ ولهم» (الربيعي، ٢٠١٩م: ٢/ ١٣٠).

يرى الموت ضرورياً ويجب أن يدقُّ المرء عنق حشرة ضارّة ويرمز بها إلى الطبقة الحاكمة التي جرّت الشعب العراقي إلى الخذلان بسياساتها الأنانية والحصار الذي دمّر أواصر الشعب. إنَّ الشعور بالاغتراب السياسي لدى الشاعر متجذّر في وعيه الفكري والسياسي الذي كان لا يستطيع أن يتحمّل أي نوع من الظلم والجور، ويشرح الظلم الذي حلّ في العراق، وأصبح الموت للفرد العراقي خيراً من أن يكون حياً، ولكنَّ الربيعي يريد من الشعب موتاً لأجل الحريّة من الحزب الطاغي الذي جعل حياتهم في شدّة. ثم في مجموعة "غداً تخرجُ الحربُ للنزهة" يروي للقارئ أحداث أخرى من معاناة الشعب العراقي، معاناة بعد معاناة، فقد ظلمهم الحزب البعثي طوال السنوات الماضيّة ثم تأتي الحرب وحصيلتها ضحايا لا تُعَدُّ ولا تحصى، فيروي لنا الأحداث من داخل المستشفى؛ وهذا أهمّ عمل نشره الربيعي في شعره الثوري، والمعاند لإستيلاء الطغاة والجبابرة حيث يرى الشعب العراقي من بعد الحصار والدمار، والمجاعة حان وقته أن تنزل على رأسه صواريخ ويحضن المفخخات والسلب والنهب والنفي والفرار، فيقول:

«غداً تخرج الحرب للنزهة/ زيّنوا المستشفيات بالأدوية والضمادات/ والمشارط الباشطة/ غداً تخرجُ الحربُ للنزهةِ/ نظّفوا القبورَ من الأتربة والأدغال/ واحفروا أخرى للحيطة/ إكراماً لأنفها من روائح الجيف النتنة/ ....الطائرات رتّبت زوادة الموتِ/ لترميها هناك فوق سرّة الدُنى/ والنارُ في قلبي هنا/ الطائراتُ انطلقت نحو

هناك كي توزّع النيرانَ والظلامَ والرصاصَ الأرعنا/ والقصفُ في بيتي هنا» (المصدر نفسه: ٢/ ٧٧ - ٨٣).

يرى الربيعي مصيبة حلّت بالعراق ولاحيلة بيده فبقي مضطرباً يتابع أخبار الوطن، وهذا هو الاغتراب السياسي، فـ«الاغتراب السياسي هي حالة يشعر فيها الإنسان بعجزه عن المشاركة في الأمور السياسية وانشغاله عن كلّ التطورات السياسية على الصعيدين الداخلي والخارجي جراء السياسات التعسفية التي تفرضها السلطات على معارضيها في الحكم» (عبدالوهاب، ٢٠٠٠م: ١١٤). ويتألّم حينما الطائرات تقصف العراق وهو بعيد عنها، وهذا الإحساس يظهر التزامه الاجتماعي، والروحي، والنفسي، والسياسي. لهذا فقد عاش الربيعي الاغتراب السياسي بشتّى طقوسه، فقد خرج من العراق بسبب المضايقات من قبل حزب البعث الذي ضايق جميع الأدباء ومن ثمّ قام بنشاطٍ سياسي للتعريف بمعاناة الشعب العراقي في الداخل، وبقي جنباً لجنب جروح العراق التي تنزف على مدى السنين.

٣ - ٤ - الاغتراب النفسي

حينما يشعر الإنسان بالضعف والانشطار يعيش حالة اغتراب نفسي وهذا مفهومٌ عام وشاملٌ يشير إلى الحالات «التي تتعرّض فيها وحدة الإنسان الشخصيّة للانشطار أو للضعف والانهيار بتأثير الأعمال الثقافية التي تتمّ داخل المجتمع مما يعني أنّ الاغتراب يشير إلى النموّ المشوّه للشخصيّة الإنسانية حيث يفقد فيه الإنسان مقوّمات الإحساس المتكامل بالوجود والديمومي» (خليفه، ٢٠٠٣م: ٨١). ولأسبابٍ كثيرة ينفصل الشخص عن المجتمع، وكثيراً ما نرى تتعارض الأفكار بين أبناء حزب أو أصدقاء حيث تجعل الشخص يبحث عن عزلة وانفصال وهذا الشعور هو «شعور الفرد بالانفصال عن الآخرين أو عن الذات أو كليهما» (نعيسه، ٢٠١٢م: ١٢٠). فيتمنّى الربيعي أن لا يرى الدمار في بلاده فيخاطب حبيبته طالباً منها حلاً للابتعاد من الظلمة

وتعمّد بالنصّ لكي يشرح للقارئ أنّ أمور الشعب العراقي وحياتهم أصبحت مؤسفة:

«حلّت نازلةُ الموتِ/ بـــأوروك فيـا صـاحبتي/ أيكـونُ بوسـعي/ ألّا أشـهد ظلمـةَ عالمنا السفلى» (الربيعي، ٢٠١٩م: ٢/ ٢٢٦)

فيرى الربيعي الموت في الوطن قد خيّم بظلّه، والظلام قد امتدّ على امتداد الوطن وقد يعيش الشعب العراقي حالة حزن وضياع، ثمّ في قصـيدة "منفـى- أغنيّـة غفّاريـة" يطابق ذاته المنعزلة مع وحدة أبيذر الغفّاري حيث قال عنه الرسول(ص) «يـرحم اللـه أباذر، يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعـث وحـده» (قمـي، ١٤٠٤ق: ١/ ٢٩٥). يـرى أحداثه كأحداث أبيذر يعيش في المنفى جبراً وقهراً:

«طلع البدرُ على دكانِ الكتبِ الخشبي/ فقامَ الشيخُ الطاعنُ/ في صحراء الربـذة» (الربيعي، ٢٠١٩م: ٢/ ٣٩٣).

يصوّر الشاعر نفسه كصحابة النبي الذي عاش وحيداً ومات وحيداً في الغُربـة، ولـو تغيّـر الـزمن لكـن تبقـى ردود فعـل الطاغيـة تجـاه الأحـرار. فـالاغتراب النفسـي هـي التنهدات والآلام الحاصلة من جوّ نفسي مشوش، يبعد الـنفس عـن واقعهـا، ويجعلهـا حائرة وتائهة، دائمة العزلة عن أقرب الأشياء إليها، وتجسّد هذا اللون من الاغتراب في مفرداته وخلجاته؛ ثمّ يرى قهر أبيذر من بعد الرسول (ص) حيث أصبح أسيراً ومناضلاً في سبيل الحق، يراه يشبه قهره في زمنِ الطغاة والجبابرة:

«في عقرِ الوقتِ/ وقصرٌ أخضـر يعلـو/ طلـعَ القهـرُ علينـا/ بغطـاء ذهبـي/ فـاطبع وجهك» (المصدر نفسه: ٣٩٣).

والشاعر يرى طغاة أمس قد ظهرت اليوم وبنت وشيّدت القصور لتسـتعبد الشـعوب وتجوّعهم في الحروب؛ ثمّ يرى نفسهُ مسلوخ الأنفاس، ناطراً موته فـي الغربـة، والبـرد يعشعش بين أضلاعه:

«عجبتُ لمن... / أخرج مدحوراً/ مسلوخَ الأنفاسِ/ مـن الـــ.../ صـبرا.... موعـدنا الموت/ في هاجرة المنفى/ بردُ الغربةِ بردٌ/ والفندقُ من زنخ الظلمـةِ والقـيء/ ترطّـب بالمغتربين» (المصدر نفسه: ٣٩٤/٢).

يُصاب الربيعي باليأس فالشخص الذي يرى هويته الوطنية، والقومية فـي تعـارض يصاب باليأس والعزلة؛ فـ «أكثر الناس حينما يشعرون بأزمة الهوية يعانون من الغربـة، والعزلة والانسلاخ» (أحمديان، ٢٠١٤م: ٥٧). يرى نفسهُ يعيش حالة ضياع في الغربة وفي موسم قـد اشـتدّ البـرد فيـه فوظّـف الشـاعر هـذه المفـردات (مـدحوراً، ومسـلوخ الأنفاسِ، والموت، المنفى، برد، الغربة، والظلمة) ليخلق للقارئ فضـاءات تـدلّ علـى اضطراباته النفسيّة في المنفى؛ ثمّ يصف مسيرة المنفيين وهي مسـيرة تعـب وضـياع، مسيرة بكاء ولوعة وأطفال جياع، والمسيرة هذه ليسـت آمنـة، فيظهـر التعـب والمـوت والضياع في نصّه. ويروي الربيعي الاغتراب النفسي في قصيدة "أصابع فاطمة" ويشرح قضايا كثيرة تختصُّ بالذين هاجروا وعاشوا في المنفى:

«ذهبَ الذين..... / وفاطمه/ تركت أصابعها/ تسـيلُ علـى رمـادِ أصـابعي/ فـي وحشةِ الأسماء/ حيث الريحُ تصهلُ/ في جباة المعتمـة/ ذهـبَ الـذين..... / تسـرّبوا» (الربيعي، ٢٠١٩م: ٢/ ٢٩٧).

يصف الشـاعر معانـاة الشـعب العراقـي وتهجيـرهم مـن بلـدانهم بسـبب الاغتيـالات العشـوائية، والعربـدات، وضـياع المسـتقبل، والهـروب والفـرار وضـياع الثـروة الوطنيـة، ومعاناتهم طوال السفر من خلال قصيدة "أصابع فاطمة"؛ هـذه القصـيدة المطوّلـة يتكـرّر فيها شطر «ذهب الذين..» ثمانيّة مرّات وقد وظّف لغة تحملُ في طياتها حزناً وآلاماً غيـر معهودة في نصوصه وهذا يدلُّ علـى نفسـيته التـي تعبـت مـن الفـراق والاغتـراب؛ ومـن خلال مفردات كـــــ«تسـيلُ»، و«رمـاد»، و«وحشـة»، و«معتّمـة»، و«تسـربوا» يعطـي طابعاً تراجيدياً في بداية القصيدة. أمّا العجز فهو من أهمّ ركائز الغربة، وهـو الشـعور الـذي يولد في أعماق الإنسان بأنّ مصيره ليس في يده، فيحاول أن يخفّف عن آلامه بالبُكـاء، ولم يبقَ شيئاً سوى الشعر في الغربة؛ وأسهل طريقة للربيعي في الغربة الشعر والنحيب:

«املأ نحيبي بالمناسبِ/ من أحاديث الطريقِ/ فإن عييتَ/ فلا تصدّق مـا سـأتلو» (المصدر نفسه: ٢/ ٤٠١).

كان الربيعي في الغربة يخفّفُ عن ألمه بالشعرِ والنحيب ويحمّل الطغاة مسؤولية ما يتعرّض له المنفيين في الغربة. يرى نفسه وحيداً في مواجهة الزمن الكئيب وزمن الطغاة والجبابرة ولا يستطيع أن يفعل شيئاً لهذا الكم الهائل من المصائب. يتحدّد مفهوم الاغتراب في الشخصية بجوانب مختلفة مثل «حالات عدم التكيّف التي تعانيها الشخصيّة، من عدم الثقة بالنفس، والمخاوف المرضية والقلق والإرهاب الاجتماعي، غياب الإحساس بالتماسك والتكامل الداخلي في الشخصية، ضعف أحاسيس الشعور بالهويّة والانتماء والشعور بالقيمة والإحساس بالأمن» (وطفة، ١٩٩٨م: ٢٤١- ٢٤٢). ومن ثمّ يرى الشخص نفسه غريب بين أهله، وهذا الاغتراب هو «نوعٌ من الاضطراب في علاقة الفرد بنفسه والعالم، حيث يشعر المرء بأنَّه غريبٌ عن ذاته منفصلٌ عن واقعه بسبب فقدان المعنى المتمثّل بصورة أساسية في الهدف» (يوسف، ٢٠٠٥م: ١٤-١٥). فهذه الاضطرابات تجعل الشخص ينفصل عن المجتمع الذي يعيش في إطاره وحتّى ينفصل عن ذاته ويغترب عن نفسه وأفعاله.

إذن الاغتراب النفسي حصيلة الازدواجية الثقافية وينشأ عن تناقض بين داخل الإنسان والعالم الخارجي كما قد يتعلّق بما يحدث للفرد من اضطرابات نفسيّة وعقلية، وما يستشعره من غربة وفتور جفاء في علاقة بالآخرين (إنظر إلى: مشقوق، ٢٠١٤م: ٤٧٩). ومن ضمنِ الاغتراب النفسي هو أن يهتمّ المرء بأمور معينه تبعده عن ذاته فيصبح المرء مغترب داخلياً؛ والشرود الذهني الناتج عن اهتمام الإنسان بأمور معينة، تبعده عن ذاته ويتيه بها عن نفسه كما قد يعني فقدان الحسّ أو غياب الوعي.

٣-٥- الاغتراب الزماني

الاغتراب الزماني هو أن يسير الشاعر في عصرٍ مغترباً عن الحاضر أو الماضي وهذا الأمر لعدم تقبّله لأمور كثيرة في زمانه، حيث يهرب الشاعر من حاله وظروفه ويسير ملتجئاً إلى زمنٍ غير الذي هو عليه؛ فالاغتراب الزماني «يتجلّى في عدم تقبّله

وتحقيره وعدم الانتماء إليه، فهو حاضر الهزائم والانكسارات العربية المتلاحقة والعقم والتخلّف المزري» (بركات، ٢٠٠٧م: ١٧١). يبدع الربيعي في قصيدة "رؤى جديدة على طاولةِ يوسف" في السيرِ إلى الوراء لكي يشبّه غربته بغربة النبي يوسف:

«علّمك الجبُّ/ فأوّل/ أوّل يا يوسف/ تلك رؤى/ منفيٍّ مشدودٍ/ بمغارِ الفتلِ/بسعفِ النخلِ/ بنخلةِ برحيّ/ تأكل من شعفتها طير/ بمناقير عجاف/ ويعيش بها سبعٌ/ يتقلّد كلماً كذباً/ ويشيرُ إلى خوذته المحفورة/ في ملصق إعلان/ يتلقّى في حاشيةِ النسيان/ ويهتف: علمك الجبُّ» (الربيعي، ٢٠١٩م: ٢/ ٢٣٠).

فيعتمد الربيعي على التناص في هذه القصيدة لكي يشكّل نصاً جديداً من خلال تركيزه على أزمنة مختلفة تعالج قضايا زمانه؛ الجُب هي الحُفرة التي احتضنت النبي يوسف (قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ) (يوسف/ ١٠). فالشاعر يرى الشعب العراقي في حفرة الحزب البعثي أسيراً ثمّ في هذه السورة نقرأ: (وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) (يوسف/٣٦). ويطلب الشاعر من النبي يوسف أن يأوّل للشعب العراقي:

«فأوّلْ/ أوّلْ يا يوسف/ رؤيا غربان تنعقُ/ في بوّابةِ أفقٍ/ مختومٍ بشظايا قمرٍ يتشقّق/ هبّت من كلّ صراطٍ/ ملعونٍ/ تنقرُ عروةَ جرحٍ/ يتدلّى/ في الكتفِ/وينزف» (الربيعي، ٢٠١٩م: ٢/ ٢٣١).

وبما أنّ تأويل النبي يوسف إلى أولئك الذين كانوا معه في السجن يحمل أنباء سيّئة فالربيعي يرى للشعب العراقي أخباراً سيئة من البعث. ففي هذا الاغتراب الزماني يأخذنا الشاعر إلى سالف الأزمان إلى قصة يوسف، وطفولة الشاعر، وقد أبدع الربيعي في القياس وقد تناصَّ مع القرآن الكريم: (إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ)

(يوسف/٣٧ و٣٨). أخذنا الشاعر إلى سالف الأزمان من خلال توظيفه للقصص القديمة. فـ«غالباً ما يتمثّل الاغتراب الزماني في حنين الشاعر إلى سالف الأزمان، وبالتحديد عهد الشباب والصبا والطفولة، ذلك أنّ الإنسان لا يتحمّل مشاقّ الحياة، ولا يدرك معانيها الصعبة، فتبدو له الطفولة وبراءتها جميلة وادعة؛ فمن هذا المنطلق يمكننا القول بأنّ كلّ واحد منّا يعاني الاغتراب الزماني بشوقه إلى أيام الطفولة الحالمة؛ إلّا أنّ الشعراء تمكّنوا من بثّ لواعجهم وآلامهم الزمنية في أبيات الشعر وصوّروا هذا الحنين إلى الماضي أحسن تصوير» (اشكوري، ٢٠١٥م: ٥٤٣). وفي قصيدة "مزمارُ العتمة" يرى أيام المراهقة التي عاشها بسعادة ويعيشها في لحظته قائلاً:

«بهدوءٍ تغرسُ عينيها/ في القلبِ المفتوحِ/ على مصراعيهِ/ تلاحقُ سربَ البطِّ/ تذكر/ مستغرقةً في حلمٍ يتشظّى/ عن ذكرى تتشظّى/ هل كنّا نركضُ فوق الشاطيء؟/ كنّا/ مثل جيادٍ متوحّشة/ الله! تذكر لي أكثر» (الربيعي، ٢٠١٩م: ٢/ ٢٤٢).

يتذكّر الربيعي تلك القريّة التي عاش بها أيّام الصبا ولعبه مع أبناء الحي ويتسائل عن الماضي ويردّ على سؤاله الذي بات مفهومه واضحاً، كان الوطن في عهد الصبا بأمنٍ وسلام واليوم أصبح أبناءه منفيّين في الغربة. فمن خلال هذه النصوص الشعرية لقد تبيّن الاغتراب الزماني الذي عاشه الشاعر بضيقٍ وقد عاشَ حياته بصعوبةٍ ويرى الزمن الذي عاشته القدماء أثمن وأفضل بكثيرٍ من عصره هذا؛ فانتزع الربيعي من الحاضر المؤلم وانفك منه لعالمٍ آخر مملوء بذكريات الماضي الجميلة.

٣-٦- الاغتراب المكاني

إنّ كثيراً من أبناء الشعب العراقي اختار سبيل الهجرة للحصول على مكان آمن للعيش، وجلّ المهاجرين كانوا من الطبقة المثقفة، من الشعراء والروائيين والمسرحيين؛ فتحلّ الوحشة في أفئدة أولئك المنفيين عن الوطن، وتضيق صدورهم من فقد الأحبة، والبُعد المكاني مزيداً على البُعد النفسي يجعل ظروفهم أصعب لأنّ

«الإرتحال عن الوطن يولّد اغتراباً مكانياً لا تنفتح معه إلّا أبواب الوحشة ولا يصبح العالم إلّا ثقب إبرة. والإنسان لولا ظروفه الحرجة واضطراره ومطاردته، لما فارق الأحبة وأرض الوطن من تلقاء نفسه» (بلاوي وآخرون، ٢٠١٢م: ٨١).

الاغتراب المكاني يراهُ المرء في المكان الذي يفقد فيه الألفة؛ وهنا ترتبط علاقة الأمور العاطفية بالمجتمع فالأمور العاطفية «لها جذور عميقة في الثقافة والمجتمع والمعرفة الاجتماعية، وثقافة المجتمع تلعب دوراً مهماً في تكوين هوية الفرد» (أحمديان، ٢٠١٤م: ٥٧). والربيعي المهاجر الذي كان يخشى النظام السابق وعشوائية إعداماته؛ في قصيدة "رمل" يرى كلّ البلدان متشابهة بعينه ما عدى العراق، فيرى أنَّ الأماكن التى هاجر نحوها بلون واحد لكن ذائقة الحياة تختلف:

«تصفّحت رمل الجزيرة/ وجدت حقولاً من النار/ موتى.... /يعدون للموت/ عشبَ أسرّتهم/ فتفقّس أكفانُهم/ حسكاً.../ ينطوون على ما تبقّى لهم/ من رياح مهرّبة/ وسعال الدموع الأخيرة/ تصفحتُ رمل الجزيرة/ تصفحت قلبي/ وجدت نساء/ يكحلّن أعينهن/ بزيت وريدي» (الربيعي، ٢٠١٩م: ٢/ ٢٨٦).

يروي الربيعي وصوله إلى اليمن بأرضه الرملية والصراعات التي كانت تدور بين أبناءه، حتّى سبّبت هذه الصراعات خروجه من اليمن ونزوحه نحو عمان؛ يروي الشاعر أوضاع اليمن حيث وجد حقولاً من النار، وهي الصراعات الداخليّة بين أبناء اليمن ويقتلون بعضهم البعض؛ ثمّ يصف تجرباته من الأوطان الأروبيه وأحوال أصدقائه في تلك الأوطان ففي قصيدة "ما تبقّى من ظلام" ينشد قائلاً:

«صباح كلّ يوم/ اعتادَ أن يزيحَ الثلجَ/ عن نافذة وحدته/ من على الطابق العاشر/ يلقي نظرةً على ما تبقّى من ظلام/ يقول لشوارع «ماسترخت»/ -صباحُ الخير» (المصدر نفسه: ١/ ١٥).

الطوابق العشرة، والثلج في شارع ماسترخت هما الفضاء المكاني الذي عبّر عنه الشاعر، فالفرد العراقي في الغُربة يعيش بأزمة الهوية وخصوصاً بين جيل الشباب الذين

أصبحوا ثنائي الثقافة؛ «أهمّ مشكلة تسببها هذه الظاهرة هو أن الجيل الشاب ثنائي الثقافة لايفهم ثقافته الوطنية وهو غريب عليها ولايستطيع أن يستوعب جميع مؤلفات الثقافة الأجنبية. لهذا تبقى الهوية الوطنية لهذا الجيل ظاهرة غامضة ومستعصية» (أحمديان، ٢٠١٤م: ٥٦). يحاول الربيعي أن يوظّف زمكنة خاصّة بالغُربة وفضاءات غير التي تعوّد عليها أبناء العراق؛ ففي غُربة الربيعي يأتي الثلج على القلوب المثلجة، والغُربة في الطوابق رغم ازدياد النفرات ولكن لا يعرف أحدٌ صاحبه؛ ويأتي بأسماء المدن التي لم يسمع بها الفرد العراقي من قبل ويخلق فضاءات كوّنها بدوالٍ تختلف عمّا في بيئة الشاعر لكي يظهر للمتلقّي اغترابهم وآثاره وأجوائه. وحضوره في الغربة يجعل منه كائناً معتاداً على حركة الزمن ببطءٍ ومن دون تأثير؛ تلك الغُربة التي حلّت بأبناء العراق منذ عام ١٩٩١م. يرى في الغُربة لا ضوء، ولا أنهار، ويحنّ إلى مجالس المقاهي في العراق حيث أصبح من المقهى إلى المنفى؛ في قصيدة "البيت الأخير" يرى الشاعر أنَّ أوطانه بلاد الشمس ولكنَّه ترك الوطن لأنَّه نُفِيَ منه وخرج مضطرّاً:

«لا ضوء/ لا أنهار/ باردٌ/ لونُ الرُّخام/ باردٌ جلد الظلام/ وارتجافة الأشجارِ/ في العراء/ فما الذي بطائر الكلام/ من بلادِ الشمسِ جاء/ بالمنفى/ من مقهى/ إلى منفى على الرصيف/ كي يرميه/ في منفاهُ؟» (المصدر نفسه: ١/ ١٧ – ١٨).

من خلال هذا النصّ نعرف بأنّ الربيعي يعدّ المكان عنصراً مهمّاً ومن خلاله استطاع أن يصف الواقع وعلى الأديب «أن يصنع المكان في عمله الإبداعي بصورةٍ تشحن الواقع شحنات مختلفة من المشاعر والأجواء النفسيّة.» (سيزا، ١٩٨٤م: ٨٤). وكان المكان الجوهر للعمل الفنّي عند الربيعي. وتكاثرت الأمكنة في شعر الربيعي منها الأمكنة الطبيعيّة، والعراقيّة، والعربيّة، والغربيّة، فماسترخت هو المكان الغربي والذي يرى من خلاله لا ضوء في تلك البلاد ولا أنهار، والبرد القارس جعل كلّ شيء يرتجف. وفي قصيدة "الهجرة" يرى الشاعر كلّ شيء يرجع إلى بيته في يوم ما عدى الإنسان الذي اغترب عن وطنه فهو لا يرجع إلّا أن يكون ميتاً وهذا هو القدر للفرد العراقي:

«الطيور تهاجر/ تعود/ تهاجر / تعود/ الريح تهاجر/ تعود/ تهاجر / تعود/ تهاجر/ الإنسان يهاجر/ يهاجر / يهاجر / يها....» (المصدر نفسه: ٢/ ٦٣).

فيرى نفسه لا يستطيع الرجوع إلى بيته، ووطنه، وأرضه، ويشعر بحالة إحباط وضياع، وهذا الأمر يجعل الشاعر حزيناً وبعيداً من الحياة السعيدة لأنَّه يعيش حالة اغتراب. وتوظيف الألفاظ في هذا النصّ يرتبط بدالّين محوريّين: العودة والهجرة؛ ليجعل من هجرة الطيور: رجوع، ومن هجرة الإنسان لا عودة وضياع. لقد تكاثرت النصوص الدالّة على الاغتراب المكاني في ديوان الربيعي حيث تظهر مدى حنينه إلى وطنه ووحشته من الغربة. وفي المقبوس التالي يتناص مع قصيدة للمتنبي:

«لستِ الوطنَ/ بكلِّ نصالهِ/ القويّة/ النابتة/ في أجسادنا/ التي تكسّرت/ على الأجساد/ لترمي سهام المتنبي قشراً/ لستِ أنا الذي أفلتَ/ من قبضةِ المكان» (المصدر نفسه: ٢/ ١٦-١٧).

يشبّه الربيعي نفسهُ بالمتنبّي الشاعر العراقي في العصر العباسي، والذي عاش منفياً من بلدٍ إلى بلد؛ وقد هاجر المتنبّي إلى سوريا واستقر في بلاط سيف الدولة الحمداني ثمّ اتّجه نحو بلاط كافور الأخشيدي، ويشكو في أشعاره من الغربة وكثرة الترحال وغدر الناس والزمن والملوك وعدم وفائهم. فيتناص الربيعي مع بيتٍ من المتنبي في قصيدة الحُمّى. يقول في هذا البيت: «جرحت مجرحاً لم يبق فيه، مكان للسيوف ولا السهام» (منصور، لاتا : ١٨٦-١٨٧). فيتلبّس الربيعي بقناع المتنبّي ويرى هذه الشخصيّة التأريخيّة قريبة إلى ذاته المُشرّدة فيتوحّد الربيعي مع المتنبّي ويتمحور القناع حول علاقة تلك الشخصيّة بالمكان، وكأنّ تشرّد أبناء العراق ليس بجديد.

۴- الخاتمه

تناولنا من خلال هذا المقال أهمّ أنواع الاغتراب في شعر عبدالرزاق الربيعي؛ وحصّلنا على نماذج من الاغتراب الاجتماعي، والإخواني، والسياسي، والنفسي، والزماني،

والمكاني، وآثارها السلبية على القومية العراقية وتقابل الأجيال في الغربة، حيث السبب يعود إلى عوامل عديدة منها حكم الطغاة والجبابرة والإعدامات التي لم تعرف رأفة، ثم إهمال الشعب العراقي للقيم النبيلة في أوطانهم ونسيانهم أمجادهم القديمة، وابتعاد الربيعي عن وطنه العراق وتشرّده منذ شبابه، والخيبة التي أصابته بفقدان أصدقاءه ووطنه جعل شعرهُ يلبسُ حُلّةَ الاغتراب.

قد كانت مظاهر الاغتراب في شعر الربيعي هي الإحساس بالقلق وعدم الإرتياح والشعور بالضياع، والإحساس باليأس وبعدم الفاعلية والأهمية، كذلك الإنسحاب والعزلة الإجتماعية. وكان موتيف الاغتراب والألفاظ التي تنمّ عن الوحدة والاغتراب كثيرة. هذا وقد لجأ الربيعي للحنين إلى الطفولة خلال وصفه للأيام الخوالي، وعشرته مع الأهل والجيران، وسعى أن يستعطف أحاسيس القارئ من خلال حواره مع أبيه وأخيه اللذينِ فقدا الحياة، ومع أشلاء شهداء الإنفجارات، وقد أبدع بهذا الوصف.

الشاعر عبدالرزاق الربيعي في الكثيرِ من شعره التجأ إلى الرمزية واستدعاء الشخصيات التراثية الدينية والتأريخية والتغنّي بأمجاد الماضي للوصولِ إلى أهدافه الثورية ومقابلة الطغاة. وقد تعدّدت مظاهر الاغتراب في شعر الربيعي، فمنها الاغتراب الإجتماعي، والاغتراب الإخواني، والاغتراب النفسي، والاغتراب الزماني، والاغتراب المكاني؛ وكان للإغتراب النفسي الدور الأكبر في شعر الربيعي، فقد عانى من ضغوطات نفسيّة حادّة واستطاع كبتها. قام الربيعي بكبت عواطفه ولجوءه إلى الشعر الإخواني والحنين إلى الماضي لكي يستطيع أن يخفّف من آلامه النفسيّة.

پی‌نوشت‌ها

1. Alienation
2. Sigmund Freud
3. Georg Wilhelm Friedrich Hegel

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- ابن منظور، جمال الدين الأفريقي، **لسان العرب**، ج١، بيروت: دار صادر، ١٩٩٨م.
- أبوعون، ناصر، **عشبة جلجامش/ جماليات الإيقاع في شعر عبدالرزاق الربيعي**، الأردن: كنوز المعرفة، ٢٠١٣م.
- احمديان، حميد، **مناهج النقد الأدبي العربي المعاصر (علمي-تطبيقي)**، منشورات سمت، ومنشورات جامعة اصفهان، ط١، ٢٠١٤م.
- اشكوري، عدنان، «ملامح الاغتراب في شعر أحمد الصافي»، **مجلة اللغة العربية وآدابها**، السنة ١٠، العدد ٤، صص ٥٦٣- ٥٣٣. ٢٠١٥م.
- بدوي، محمد جاهين، **العشق والإغتراب في شعر يحيى السماوي**، ط١، دمشق: دار الينابيع، ٢٠١٠م.
- بركات، عبدالرزاق، **الاغتراب في الشعر التركي والعربي المعاصر**، ط١، كويت: دار القلم، ٢٠٠٧م.
- بلاوي، رسول، ومرضية آباد، وعباس طالب زاده شوشترى، وعباس عرب، «موتيف الاغتراب في شعر يحيى السماوي»، **مجلة العلوم الإنسانية الدولية**، العدد١٩، ٢٠١٢م، صص ٧٧-٩٣.
- رسول بلاوي، وصادق البوغبيش، «دلالات اللغة البصرية في شعر عبدالرزاق الربيعي»، **مجلة الممارسات اللغوية**، المجلد١١، العدد١، مارس ٢٠٢٠م، صص ١٦٦-١٩٣.
- جمشيدي، فاطمه، وصال ميمندي، وفاطمة قادري، ورضا أفخمي عقدا، «ملامح الاغتراب في شعر علي فودة وردود فعله عليها»، **إضاءات نقدية (فصليّة محكمة)**، السنة ٧، العدد ٢٧، أيلول ٢٠١٧م صص ٧١-٩٨.
- حماد، حسن محمد حسن، **الاغتراب عند اريك فروم**، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٩٩٥م.
- خليفة، عبداللطيف محمد، **دراسة في سيكولوجية الاغتراب**، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر، ٢٠٠٣م.
- الربيعي، أحمد حاجم، **الغربة والحنين في شعر الأندلسي**، ط١، بيروت: الدار العربية للموسوعات، ٢٠١٣م.
- الربيعي، عبدالرزاق، **الأعمال الشعرية الكاملة**، (الجزء الأول والثاني)؛ بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠١٩م.

- صليبا، جميل، **المعجم الفلسفي**، قم: منشورات دار القربى، ط١، ج١و٢، ٢٠٠٦م.
- الطويل، توفيق وسعيد زايد، **المعجم الفلسفي**، القاهرة: المطبعة الأميرية، ١٩٨٣.
- عبّاس، دانيال علي، **الاغتراب النفسي**، دمشق: منشورات جامعة دمشق، ٢٠١٦م.
- عبدالحميد، شاكر، **الغرابة؛ المفهوم وتجلياته في الأدب**، الكويت: عالم المعرفة، ٢٠١٢م.
- عبدالوهاب، طارق محمد، **سيكولوجية المشاركة السياسية**، دراسة في علم النفس السياسي في البيئة العربية، القاهرة: دار غريب، ٢٠٠٠م.
- فاضل، رشا، **مزامير السومري/ قراءات في المنجز الشعري والمسرحي للشاعر عبدالرزاق الربيعي**، بابل: دارشمس، ٢٠١٠م.
- فرهنگ نيا، أمير، وكبرى روشنفكر، وخليل برويني، ظاهرة الاغتراب في شعر عز الدين المناصرة، **مجلة اللغة العربية وآدابها**، السنة ١١، العدد٣، خريف١٤٣٦هـ
- قمي، على بن ابراهيم، **تفسير قمي**، قم: دار الكتاب، ١٣٦٣هـ.ش، ١٤٠٤ق.
- المرسومي، على صليبي، **بلاغة القصيدة الحديثة/ قراءات في شعريّة عبدالرزاق الربيعي**، دمشق: دار الحوار، ٢٠١٥م.
- مشقوق، هنية، «تجليات الحس الاغترابي في رواية بحر الصمت لياسمينة صالح»، **مجلة المخبر**، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، الجزائر، صص ٤٧٥- ٤٨٨، ٢٠١٤م.
- مصطفى، عرفات كرم، **ظاهرة الاغتراب الفكري**، لاناشر، ٢٠١٠.
- منصور، حسن عبدالرزاق، **الشعر والعقل**، فضاءات للنشر والتوزيع، لاتا.
- نعيسه، رغداء، «الاغتراب النفسي وعلاقته بالأمن النفسي»، **مجلة جامعة دمشق**، المجلّد ٢٨، العدد٣، صص ١١٣- ١٥٨، ٢٠١٢م.
- وطفة، علي، **المظاهر الاغترابية في الشخصية العربية**، الكويت: عالم الفكر، ١٩٩٨م.
- يوسف، محمد، **الاغتراب الإبداعي لدى الفئات الإكلينيكية**، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر، ٢٠٠٥م.

المواقع:

- الحلايقة، غادة، «مفهوم الاغتراب في الفلسفة»، موقع موضوع، ٤سبتمبر ٢٠١٤: https://mawdoo3.com
- الحيدري، إبراهيم، «مفهوم الاغتراب بين الفلسفة المعاصرة والفرويدية الجديدة»، موقع معابر، ٣ آغسطس ٢٠١٩: http://www.maaber.org

Abstract

The Phenomenon of Alienation and its Representations in Abdul Razzaq Al-Rubaye' Poetry

Sadegh Alboghbeish*
Rasoul Balavi**

Nostalgia is one of the most important issues via which one can explore different aspects of the society, and expresses any grief and sorrow deep in the soul of mankind. Presently, Iraq has been dealing with war, economic sanctions, religious conflicts, and poverty; therefore, several Iraqis have been forced to leave their homeland and take refuge to foreign countries, facing the fear of losing their identity. Abdul Razzaq Al-Rubaye, Iraqi poet in 80's, who finds Iraq embroiled in war and sanctions, talks about his exile and focuses on this phenomenon in his poetry. This descriptive-analytical study examines the representations of nostalgia in Al-Rubaye' poetry and explores its related themes, such as social, psychological, fraternal, temporal, and spatial nostalgia, and their negative outcomes. As a poet, Al-Rubaye witnessed the destruction of Iraqi civilization and felt that the rich culture of his homeland was in danger. Therefore, the representations of nostalgia appear in the story of his life and his poetry as well. Moreover, he was indulged in nostalgia even before he left his homeland. The results indicate that the poet recalls his childhood memories, describes his recollections of hanging out with his family members, neighbors and friends, and tries to show his nostalgic feelings by opening up to his father, brother, those who has lost their lives in the war.

Keywords: Iraqi contemporary poetry, Alienation, Nostalgia, Homeland, Abdul Razzaq al-Rubaye.

* PhD candidate of Arabic Language and Literature, Persian Gulf University, Bushehr. Sadegh8258a@yahoo.com
** Associate Professor, department of Arabic language and literature, Persian Gulf University, Busheh. (corresponding author). r.ballawy@pgu.ac.ir